لقد عاتب رب العزة حبيبه المصطفى ﷺ في قوله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ۝١١ ﴾ [عبس: 1-11].

وسبب نزول هذه الآية أن ابن أم مكتوم أتى الرسول ﷺ وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة أبناء ربيعة وأبو جهل بن هشام والعباس بن عبد المطلب وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم فقال للنبي ﷺ اقرئنى وعلمني مما علمك الله وكرر ذلك فكره الرسول ﷺ قطعه لكلامه وعبس واعرض عنه فنزلت سورة كاملة في القرآن وذلك أعظم دليل على مكانة المعاقين في الإسلام.

لقد نادى الإسلام منذ أربعة عشر قرناً بالمحافظة على المعوقين وأعطاهم حقوقهم كاملة في إنسانية أخاذة، ورفق جميل، مما أبعد عن المعوقين شبح الخجل، وظلال المسكنة، بل أن الإسلام لم يقصر نداءه الإنساني على المعوقين فقط، بل امتد النطاق فشمل المرضى عامة، واستطاع المريض – أياً كان مرضه – أن يستظل براية الإسلام التي تحمل في طياتها الرأفة والرحمة والخير، وأن يتنسم عبير الحياة، في عزة وكرامة، كما أن الإسلام لم يقصر هذا النداء على مناسبة خاصة بالمعوقين لأن القواعد التي أرساها الإسلام سارية المفعول منذ أن جاء بها المصطفي ﷺ، وإلي أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ثالثاً: الآثار الناجمة عن الإعاقة

تترك الإعاقة بحدود مختلفة آثاراً متباينة على الفرد المعوق وأسرته والمجتمع الذي هو فيه وهذه الآثار نسبية تختلف باختلاف درجة الإعاقة، والسن التي حدثت به عند الفرد، وتبعاً لنوع الجنس ذكراً أم أنثى، كما أن الآثار تختلف باختلاف الأسر من حيث وضعها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، وجملة الشروط الاجتماعية والاتجاهات السائدة نحو المعوقين.

1- أثر الإعاقة في الفرد

تكشف البحوث على تفاوت أشكالها ونتائجها عن عدد غير قليل من الآثار التي تنجم عن وجود الإعاقة عند الفرد ومنها:

أ- الآثار النفسية والانفعالية

إن أول ما ينجم من أثر للإعاقة على الفرد المعوق، هو شعوره بوجود قيد يحد من حرية التصرف لديه، قد يكون هذا القيد منذ الولادة أو في سن مبكرة ولكن يستمر معه أكان هذا القيد فقداناً للسمع أو نقصاً فيه أو فقداناً للبصر أو ضعفاً فيه أو نقصاً في القدرات العقلية أو في الجهاز الجسمي العظمي أو العضلي أو العصبي، فالفرد بهذه الحالة لا يستطيع فعل ما يريد وما يرغب فيه، فهناك فعاليات كثيرة تمنعه الإعاقة من المشاركة فيها، وهناك مدرسة لا يستطيع الاستفادة من خبراتها ويكون مستوى المشاركة والاستفادة محدودتين.

فإذا اتجه الكلام نحو الكفيف فإن كثيراً من الخبرات البصرية تحجب عنه، فهو لا يستطيع التمتع بحرية الحركة السهلة لأن هذه الحركة تتطلب البصر، ولا يمكنه التمتع بلعب الأطفال أكانت حركية أو بصرية، ويكون استعماله للنشاط اللمسي والسمعي والحركي بديلاً عن النشاط البصري في ذلك، ولا يستطيع الكفيف أن يكتسب أنماط السلوك المختلفة التي يكتسبها المبصر عن طريق التقليد البصري مثل ارتداء الملابس أو تناول الطعام ولا يستطيع أن يسلك في المواقف الاجتماعية السلوك المطلوب كما يفعل المبصر الذي يرى كل ما يحيط به). وإذا اتجه الكلام نحو الأصم، فإنه لا يستطيع الاستفادة من الخبرات السمعية والتمتع بها من أصوات طبيعية وموسيقية وألعاب صوتية مختلفة، وهو إضافة لذلك سيشعر بوجود قيد آخر ناتج عن فقدان السمع وهو عدم القدرة على الكلام بشكل طبيعي.

وكذلك الأمر بالنسبة للمعوق جسمياً – حركياً فهو لا يستطيع التنقل واكتساب الخبرات من نزهات ورحلات وألعاب رياضية. وكل هذه المجالات بالنسبة للمعوقين

بفئاتهم المختلفة تشكل مثيرات قوية تدفعهم للمشاركة، ولكنهم ولا يملكون الحرية من أجل تلك المشاركة.

ولا يتوقف أثر الإعاقة على شعور المعوق بوجود قيد لديه وهو قيد داخلي، إنما يشعر بوجود فعاليات معينة تحجز عنه وجود فعاليات أخرى يدفع إليها مع تقديره أنها من درجة أو مستوى أدنى ما منع عنه، هذا حاله أمام أمور معينة تتطلب منه في البيت، وأمور يخصصها له رفاق اللعب والأصدقاء وهذا قيد آخر، قيد خارجي يتمثل بهذا التمييز بينه وبين غيره ممن يحيطون به.

ويظهر من وجود الإعاقة الشعور بعدم الثقة وعدم اليقين، ويبدو ذلك عند الطفل المعوق في عدد من الاتجاهات، فهو غير واثق من نوعية ما ينجز من مهمة أوكلت إليه أو عمل، وهو على غير يقين بالنسبة لما يقرر إجراؤه في موقف ما، وهو غير واثق من معاملة الآخرين وغير قادر على التنبؤ بما سيكون عليه موقفهم منه إذا قدم إليهم، وهو غير واثق من النجاح حين يقدم على أمر ما. وهذا حال الكفيف، كما هو حال الأصم، فالكفيف لا يستطيع السيطرة على بيئته الاجتماعية خوفه من مراقبة المبصرين له، فإنه يشعر دائماً بأنهم يراقبون سلوكه مما يجعله قلقاً متوتراً، ولذلك نجده دائماً متحرجاً ومتردداً في المواقف الاجتماعية، وهذا يعرضه للإجهاد العصبي والشعور بعدم الأمن، فالإعاقة التي يشعر بها، وهي أمر داخلي قد تضعف إلى حد بعيد شعوره بالقدرة على إنجاز ما يأمل أو يسعى إلى إنجازه ومثل هذا الشعور بالعجز وعدم الثقة من أهم ما يعانيه المعوق من آثار نفسية وانفعالية.

ب- الآثار الاجتماعية

تفرض الإعاقة بأي شكل كانت نوعاً من القيد يمنع المعوق من ممارسة النشاطات الاجتماعية، وتفرض نوعاً من العزلة التي قد لا يرغب بها المعوق، ولكنه يساق إليها كراهية، هذا حال الأصم، كما هو حال الكفيف، وكذلك الأمر حال المتخلف عقلياً والمعوق جسمياً حركياً. فالأصم الذي فقد القدرة على السمع لا يستطيع التواصل الاجتماعي، لأن هذا التواصل يتطلب عمليتي "الاستقبال" و "الإرسال"، عملية سماع

المخاطبة، وعملية الرد عليها فهو لا يستطيع سماع المحادثة، وبالتالي لا يفهم ما يقال له، وبالوقت نفسه لا يستطيع التواصل باللغة المألوفة المنطوقة، لأن فقدان السمع يجر خلفه فقداناً للقدرة على التواصل الكلامي، لهذا تبدأ المعاناة من سن مبكرة عندما يلاحظ عبر بصره حركات الشفاه عند المتكلمين، وهو لا يستطيع الكلام ويلاحظ ردة الفعل عند أحدهم لكنه لا يفهم ماهية الصوت "المثير" أو "المنبه"، ومن هنا فإن الطفل في هذه الحال يؤثر العزلة على المشاركة، ويؤثر الانسحاب على الإقدام والتفاعل.

والكفيف الذي فقد بصره لا يستطيع التواصل الاجتماعي بصورة اعتيادية، لأن التواصل الاجتماعي يتطلب في كثير من المواقف اشتراكاً فعالاً للبصر، فإذا أخذنا آداب التحية، وآداب المشاركة في المناسبات الاجتماعية المختلفة، فكلها تتطلب وجود البصر والحركة الموجهة به، والكفيف لا يستطيع القيام بها بالشكل الاجتماعي المتعارف عليه، حتى لو تعلم منها فهو سيلجأ إلى الاختصار وإلى العزلة والانسحاب، يذكر "لطفي بركات" دراسة "مالك آندرو" عن الجمود في الشخصية، وهي دراسة مقارنة بين المكفوفين والصم والمبصرين. تكونت العينة من "25" كفيفاً و"25" مبصراً ولهم جميعاً العمر الزمني والعقلي نفسه، وقد تبين من النتائج أن الصم أكثر جموداً يليهم المكفوفين ثم المبصرين. وتعلل "مالك آندرو" هذه النتائج بقولها "إن جميع البيانات تشير إلى أن الصم والمكفوفين يعيشون في عالم محدود كنتيجة لأثر العجز الخلفي الذي يعانون منه مما يؤدي إلى عزلهم جزئياً عن موضوعية البيئة ويستتبع هذا الازدياد الجمود في شخصياتهم".

ولا شك أن الآثار النفسية والانفعالية متلازمة مع الآثار الاجتماعية والواحدة تؤثر بالأخرى، وتتفاعل معها فالعزلة الاجتماعية تؤدي للاستجابات العصابية، والاستجابات العصابية تؤدي إلى مزيد من العزلة الاجتماعية، ومن هذه الجهة يكون العائق عاملاً مباشراً في خسارة تلحق بالطفل المعوق في إدراكه وجهده واتصاله بما حوله، ولكن العامل الآخر وهو مرتبط بعامل الإعاقة فيتمثل بموقف المعوق من العائق عنده ومن نفسه، فإن كان من النوع الذي يستطيع أن يقبل بالأمر الواقع، وأن يتقبل إعاقته، ولديه الرغبة في تجاوزها عبر أنشطة تعويضية إيجابية ضعفت آثار الإعاقة من هذه الناحية.

ج- الآثار التربوية

تتفاوت الآثار التربوية من إعاقة لأخرى إلا أن هناك من القواسم المشتركة ما يجمع بينها، وهي أن المعوقين لا يستطيعون الانتظام المدرسي في المدارس العادية لأن المدارس العامة أعدت لأولئك الذين لا يشكون من نقص أو إعاقة في الحواس أو القدرات العقلية أو الجسمية الحركية، هذا واقع الحال باستثناء بعض التجارب الناجحة في كثير من دول العالم التي أعادت النظر في الهيكلية العامة لنظامها التعليمي والتي أخذت فيه بعين الاعتبار بعض فئات المعوقين لأن يكون لهم مكاناً، وجنباً إلى جنب مع الأطفال العاديين في المدارس العادية.

يختلف الحديث عن الآثار التربوية لدى المعوقين عنه لدى الحديث عن الآثار النفسية والانفعالية والاجتماعية في أن الآثار التربوية يمكن أن تختلف بين الإعاقات وخاصة بين الإعاقة الجسمية (السمعية، البصرية، السمعية البصرية معاً، الحركية كالشلل) والإعاقة العقلية ففي الوقت الذي يمكن أن يكون الحديث عن آثار نفسية واجتماعية ناتجة عن الإعاقة بصورة عامة نجد أنه يتعذر الكلام عن آثار تربوية بالشكل الدقيق ناتجة عن الإعاقة بصورة عامة.

وبالرغم من أن الأفراد ذوي الإعاقة الجسمية يمكنهم تلقي المناهج نفسها التي تدرس للأطفال العاديين إلا أن الدراسات المختلفة أظهرت الآثار التربوية لإعاقتهم، فقد أظهرت الدراسات التي أجريت على كتابات الأطفال المعوقين سمعياً أخطاء في التركيب وبناء الجمل وفق قواعد اللغة، وتغيب عندهم استخدام الجمل الاعتراضية وعدم التعبير الدقيق عن المعنى الذي يعبرون عنه، كما يصعب عليهم فهم المقروء واستنباط المعنى العام وتتبع أفكاره.

2- أثر الإعاقة في الأسرة

إذا كانت الإعاقة تؤثر في الفرد بعد أن يعي ما للوظيفة المفقودة من أهمية في حياته، وهذا الوعي يتم تدريجياً تحت تأثير الظروف الأسرية والجماعية الاجتماعية، فإن تأثير

الإعاقة على الوالدين أو لدى فرد من أفراد الأسرة يكون أسبق على الأسرة منها على الفرد المعوق نفسه بخاصة إذا كانت هذه الإعاقة منذ الولادة أو حدثت في سن مبكرة. فالوالدان اللذان ينتظران مولوداً جديداً بكامل الصحة والهيئة، سوف يكون وقع الحدث إذا ما جاء هذا المولود معوقاً بإحدى الإعاقات بالغ الشدة والتأثير وإذا حدث أن اكتشفت الإعاقة لدى الطفل في سن مبكرة، فسيكون أيضاً حدث هذا الاكتشاف (بالمعرفة أو عن طريق الطبيب أو الاختصاصي) أيضاً بالغ الشدة والتأثير، وفى كل من الحالتين، فإن الأسرة هي التي يقع عليها التأثير قبل وقوع التأثير والوعي به عند الطفل نفسه.

ولا تتوقف آثار الإعاقة على الأسرة عند الآثار النفسية من ضغوطات تتمثل في الخوف والقلق والحزن ومشاعر الإثم أو بالآثار المتصلة بعملية التواصل مع الطفل المعوق نفسه أو بالتواصل مع المهنيين الذين يعملون مع الطفل داخل المؤسسة التربوية أو خارجها بل تؤثر الإعاقة عند الطفل في علاقات الأسرة من حيث تكاملها وتماسكها، ومن حيث علاقاتها الاجتماعية. فقد تتأثر علاقات الأسر بسبب متطلبات الطفل المعوق الملحة المستمرة، التي تتطلب من أفراد الأسرة العمل تحت ظروف من الضغط النفسي والتوتر والقلق والحرمان من إشباع بعض حاجاتهم، وينعكس هذا على علاقات أفراد الأسرة فيما بينهم، ومشاعر الضيق والتذمر الدائم التي قد تولد شعوراً عند أحدهم بالرفض تجاه الطفل وشعوراً بالكراهية والرغبة في الهروب من هذا الوضع بشكل عام مما قد يدفع ببعض أفراد الأسرة إلى مغادرة المنزل والانفصال عن جو الأسرة، وبالتالي الهروب من تحمل المسئولية تجاه الطفل المعوق، ويظهر ذلك على شكل هروب الأب من المنزل وانشغاله لأكثر وقت ممكن منهمكاً في أعماله أو في ترويحه.

ويؤثر وجود طفل معوق في الأسرة على نشاطاتها وعلاقاتها الاجتماعية ذلك أن وجود هذا الطفل سيحد من نشاطات الأسرة المعتادة ويقلل منها بسبب ما يتطلب وجوده من توجيه ورعاية واهتمام وبذلك الجهد في تعليمه وتنشئته فوجود هذا الطفل لن يسمح للوالدين أن يخرجا معاً، كما أنهما لن يتمكنا من الخروج مع الطفل لما يرافق ذلك من مصاعب الشعور بالخجل والخوف من ردود الناس وخاصة في الحالات التي

يرافقها بعض المظاهر الشاذة الواضحة، سواء كانت في تصرفات الطفل المعوق أم في مظهره العام، ويظهر ذلك بجلاء لدى الأطفال المتخلفين عقلياً.

وقد تظهر آثار الإعاقة عند الطفل المعوق على الأسرة على شكل أعباء في الجانب الاقتصادي لما يلزم هذا المعوق من نفقات تشخيصية، ونفقات علاجية قد تكون مستمرة في بعض الحالات، وقد تكون مؤقتة في حالات أخرى، وقد يتطلب وضع بعض الأطفال المعوقين المكوث لفترة طويلة في المستشفى، وهذا يتطلب تفرغ أحد أفراد الأسرة تفرغاً شبه تام مما قد يعطل قوة عاملة موجودة في الأسرة. وقد تتطلب بعض الحالات معلم خاص يُدفع له من أجل تعليمها، وفى حالات يتطلب شراء الأجهزة التعويضية، وفى كل الحالات فإن الأسرة تتحمل عبئاً اقتصادياً ثقيلاً.

3- أثر الإعاقة في المجتمع

تؤثر الإعاقة في المجتمع باختلاف طبيعة المجتمعات قديمها وحديثها، وتختلف بحسب طبيعتها من حيث التقدم والتخلف وبحسب النظرة أو الاتجاه العام نحو هذه الفئات. وفى المجتمع العربي الإسلامي في أوج حضارته قد تعامل مع فئات المعوقين تعاملاً قائماً على الفهم والدراية والعلم.

إن الإعاقة تؤثر في المجتمع وتخلق اتجاهات إيجابية أو سلبية وقد عرف تطور الاتجاهات في المجتمعات مواقف متباينة ومختلفة فمن المجتمعات ما تنظر إلى الإعاقة من منطلق اقتصادي مادي، ومنها ما ينظر إليها من منطلق إنساني، ومن المجتمعات ما ينطلق من اعتقادات خاطئة نحوها ومنها ما ينطلق من الفهم والدراية والعلم والآن فإن المجتمعات كلها تولي المعوقين اهتماماً حتى أنها جعلت من عام 1981 عاماً دولياً للمعوقين وأصبحت تناط بالمجتمع جملة من تقديم الخدمات الصحية والتربوية والتعليمية والاجتماعية تتقاسم هذه الخدمات مجموعة من المؤسسات كوزارة التربية والتعليم العالي والشؤون الاجتماعية والعمل والعدل والأوقاف والصحة.